الفصل الأول

الاستشراق

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: تعريفه وتاريخه ومراحله وخصائصه.

المطلب الأول: تعريفه في المفهوم اللغوي.

المطلب الثاني: بداية الاستشراق وتاريخه الرسمي.

المطلب الثالث: مراحل الفكر الاستشراقي وخصائصه.

المبحث الثاني: أسباب الاستشراق.

المبحث الثالث: أهداف الاستشراق ووسائله.

المبحث الرابع: أصناف المستشرقين.

الفصل الأول

الاستشراق

المبحث الأول

تعريفه وتاريخه ومراحله وخصائصه

لما كان العمل الاستشراقي لا يقوم على النوايا الطيبة بل هو مزيج من الحق والباطل صار حقاً على الباحث والدارس أن يعنى بتحديد مفهوم الاستشراق والوقوف على معالمه البارزة وآفاقه وأهدافه ليكون على بينة من أمر يمس حياته ودينه.

المطلب الأول: تعريفه: في المفهوم اللغوي:

وكلمة استشراق قد تكون منحوتة من مادة شرق التي لها أصل في اللغة حيث يقال: شرقت الشمس شُرقاً وشروقاً إذا طلعت، وشرق المكان شُرقاً إذا أشرقت عليه الشمس.[1] هذا إذا نظرنا إلى علم الاشتقاق وقواعد الصرف، لكن الكلمة نفسها (استشراق) إذا بحثنا عنها في المعاجم اللغوية القديمة لا نجد لها ذكراً، [2] وهذا يعني أن الكلمة ليست عربية أصيلة بل هي مولدة عصرية. أكدت على ذلك بعض المصادر اللغوية الحديثة تقول: استشرق أي طلب علوم الشرق ولغاتهم يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة. [3] وكما هي مولّدة عصرية في اللغة العربية فهي كذلك في اللغة

(١) المعجم الوسيط ج١ ص ٤٨٠ طبعة ١٩٧٢م. مجمع اللغة العربية.

(٢) راجع لسان العرب لابن منظور ج١ ص ١٧٣ ومعجم مقاييس اللغة ج٣ ص ٢٦٤.

(٣) متن اللغة ج٣ ص ٣١٠.

الأجنبية فقد ظهرت كلمة(مستشرق) Orientalist في إنجلترا سنة ١٧٧٩م، وكلمة Orientalist في فرنسا سنة ١٧٩٩م. ثم أدرجت كلمة الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية Dicde Facademie Francese عام ١٩٣٨م.[١]

وفي المفهوم الاصطلاحي :

ذكرت تعريفات كثيرة لمصطلح الاستشراق تكاد تكون متقاربة منها :

١ - ما ذكره الدكتور حمدي زقزوق من أن الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي.

أما كلمة مستشرق فلها معنى عام ومعنى خاص، وفي معناها العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه.

أما المعنى الخاص فيراد به الذي يعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي والإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق ومستشرق.[٢]

٢ - وقريب من هذا التعريف ما ذكره بعض الباحثين من أن الاستشراق هو اهتمام علماء الغرب بعلوم المسلمين وتاريخهم ولغاتهم، والمستشرق هو العالم الغربي الذي تمكن من هذه الدراسات.[٣]

٣- وهناك تعريف اقترحه الدكتور أحمد عبد الحميد غراب ورأى أن فيه شمولية ودقة عن أي تعريف آخر يقول فيه : «إن الاستشراق دراسات أكاديمية يقوم بها

---

(١) تراث الإسلام ج١ ص ٧٨ تصنيف شاخت وبوزورث ، عالم المعرفة. الكويت ١٩٨٨م ط٢ .

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص٢٤، ٢٥ د/محمود حمدي زقزوق .

(٣) دراسات استشراقية تأليف نخبة من العلماء المسلمين ص٧٢.

غربيون من أهل الكتاب للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب ؛ عقيدة وثقافة وشريعة وتاريخاً وتنظيماً... بهدف تشويه الإسلام وتشكيك المسلمين فيه.. وفرض التبعية للغرب عليهم ومحاولة تبريرها عن طريق نظريات تدعي العلمية والموضوعية»[1] .. إلخ

وأرى: أن هذه التعريفات السابقة جعلت معيارها وازن المنطقة التي تنبع منها الدراسات الاستشراقية والمكان الذي يخرج منه الدارسون، بينما الرأي الأصوب عندي أن يكون المعيار خاصة في هذه الآونة المعاصرة هو الكتابة عن الإسلام والمسلمين عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخاً فذلك سيكون أشمل وأوسع.

وربما يكون سبب استعمال الاصطلاحات السابقة لمفهوم الاستشراق هو النظرة إلى تتبع تاريخ الاستشراق ونشأته في الغرب المسيحي واهتمام الأوربيون بالدراسات الإسلامية والعربية لأهداف -سيأتي الحديث عنها-، وتلك نظرة غير بعيدة عن الصواب، ولكن الواقع يثبت الآن أن الاهتمام بهذه الدراسات اتسع فأصبح غير مقتصر على الغرب فحسب، بل الشرق والغرب يكتب الآن عن الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً ومصدراً إلخ.

نجد ذلك في اليابان والصين وكوريا والهند ودول جنوب شرق آسيا وأمثالهم، وللأسف أغلب هذا الكتابات لا يقصد أصحابها إلا تحقيق الهدف نفسه الذي نشأ من أجله الاستشراق في الغرب.

فهل أصحاب هذه الكتابات من المستشرقين أم لا؟

من غير شك هم منهم أو على الأقل من ضمنهم.

وبناءً على ذلك، فالقول على أن الاستشراق خاص بالغربيين فقط وخاصة أهل الكتاب منهم كما أشار الدكتور «غراب» قول غير جامع ولا شامل.

(١) رؤية إسلامية للاستشراق ص٩.

وأرى أن القول الأدق -من وجهة نظري-

أن الاستشراق «هو دراسات أكاديمية يقوم بها غير المسلمين من غير العرب سواء من الشرق أو الغرب للإسلام عقيدة وشريعة ولغة وحضارة بقصد التشكيك في هذا الدين القويم وإبعاد الناس عنه»

ووفقاً لهذا التعريف فالمستشرق شخص غير مسلم وغير عربي سواء كان كتابياً أو غير كتابي يهتم بعلوم المسلمين.

ويقترب من هذا التعريف ما ذكره الأستاذ. (عدنان وزان) حيث ينص على أن الاستشراق «مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة.[١]

فهذا التعريف أغفل المكان الذي يخرج منه الدارسون والمنطقة التي تنبع منها هذه الدراسات.

والدكتور (علي النملة) قال بذلك أيضاً، وجعل معيار المفهوم هو الكتابة عن الإسلام، إلا أنه أدخل الكتابات التي يقوم بها غير المسلمين من العرب في التعريف.[٢]

وهؤلاء يمكن أن نعدهم من تلاميذ المستشرقين وليسوا من جملتهم؛ لأنهم يقطنون معنا في البقاع العربية، فلا أحد يقول: إن (نظمي لوقا)[٣] أو (فيليب حتي)[٤] أو غيرهما من المستشرقين حتى وإن سلكوا مسلك المستشرقين.

فالمستشرقون اسم واسع يشمل طوائف متعددة غير عربية تعمل في ميادين الدراسات الشرقية عامة والإسلامية خاصة.[٥] وليس قصدهم التثقيف أو التعليم

(١) راجع بحث د/ النملة في كتاب دراسات استشراقية ص٢٧، ٢٨.

(٢) راجع ص٢٧ دراسات استشراقية.

(٣) كاتب نصراني من مصر له كتابات عن الإسلام فيها كثير من المغالطات.

(٤) لبناني حصل على الجنسية الأمريكية وألف كتبه بالإنجليزية.

(٥) انظر أضواء على التبشير والمبشرين ص٢٤ د/ سلمان سلامة.

وإنما تشكيك المسلمين في دينهم حتى إنك لا تجد لهم بحثاً حول القرآن مثلاً إلا وتجد فيه إيهاماً وتشكيكاً، وإن لم يسعفهم اللفظ الذي يفيد التشكيك قالوا عبارات عائمة موهمة لكل ما يثير الشك.[1]

والسؤال الآن: متى بدأت الدراسات الاستشراقية حول الشرق عامة أو الإسلام خاصة وهو ما يعنينا في هذا المقام؟

والجواب يحتاج إلى إلقاء نظرة على تاريخ الاستشراق وبداياته.

المطلب الثاني: بداية الاستشراق وتاريخه الرسمي

لاشك أن الانتشار السريع للإسلام في المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجال اللاهوت النصراني إلى هذا الدين، ومن هنا بدأ الاهتمام بالإسلام ودراساته.

لكن تحديد نقطة البداية أمر فيه اختلاف عند الباحثين، إذ البعض يرى أن بدايته كانت أيام الصليبيين، بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري، وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب (يوحنا الدمشقي) وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين.[2]

ويرى البعض أن الغرب النصراني يؤرخ لبدء وجود (الاستشراق الرسمي) بصدور قرار مجمع فينا الكنيسي في عام ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية.

ويقول الدكتور (حمدي زقزوق): ولكن الإشارة هنا إلى الاستشراق الرسمي تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمي قبل هذا التاريخ[3]، هو على حد تعبير

(١) التبشير والاستشراق حملات وأحقاد ص٣٥، الأستاذ/ محمد عزت الطهطاوي.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج٢ ص ٦٩٧ دار الندوة العالمية.

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص٢٥ د/ حمدي زقزوق.

الدكتور (محمد البهي) بمثابة محاولات فردية[1]، ويكاد المؤرخون يجمعون على أن القرن الثالث عشر بداية رسمية، ثم انتشر بصفة جدية بعد فترة ما يسمى في التاريخ الأوربي عهد الإصلاح الديني.[2]

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية وترجموا معاني القرآن وبعض الكتب العربية والأدبية حتى جاء القرن الثامن عشر -وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي- فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق- ويصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية فيشترونها من أصحابها الجهلة أو يسرقونها من المكتبات العامة... وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوربا حتى بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلد، وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم.

وقد اهتم الملوك والأمراء هناك بالإغداق على المستشرقين، وحبسوا أوقافاً وأعطوا منحاً لمن يعمل في حقل الاستشراق. وما زالت المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية تؤدي الدور نفسه وتهتم بالاستشراق والمستشرقين في العصر الحديث[3].

المطلب الثالث: مراحل الفكر الاستشراقي وخصائصه:

لقد مر الفكر الاستشراقي في علاقته بالإسلام والمسلمين بمرحلتين:

المرحلة الأول: (يمكن أن نسميها المرحلة العقدية).

وقد بدأت هذه المرحلة مع بداية الاستشراق وإلى عصر الاستعمار المسلح، وكان الفكر فيها موجهاً أولاً إلى الأوربيين. ومن خلالها دأب الفكر الاستشراقي على تصوير

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص٤٢٩.

(٢) المصدر السابق ص٤٢٩

(٣) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٨٨، ١٨٩، عمر عودة الخطيب. مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

الإسلام وتقديمه للناس في صورة منفرة تثير الضيق به والتوجس منه والرغبة في الهيمنة عليه خوفاً من ازدياد انتشار هذا الدين بين الأوربيين[1]، ثم تنفير المسلمين منه بعد ذلك، ومن ثم طعنوا في القرآن الكريم والدين القويم بكل ما أوتوا من قوة.

يقول الأستاذ (نذير حمدان): أما المرحلة العقدية فهي تلك المرحلة التي هاجم فيها المستشرقون الإسلام بعنف وضراوة[2] ويقول الأستاذ (أنور الجندي): ولا ريب أن الاستشراق في المجال العقدي يعمل على هدم الإسلام والقرآن[3] وقد ارتبطت هذه المرحلة ارتباطاً كاملاً بالمؤسسات التبشيرية ومعاهد الإرساليات لخلق ظاهرة انتقاص الإسلام وإبعاده عن الحياة.

لكن الملاحظ أن المسلمين في هذه المرحلة كما يقول الدكتور (الدسوقي) لم يكن لهم دراية كاملة بالفكر الاستشراقي على نحو يؤثر في أفكارهم وآرائهم.

وأما ما كان من جدل -أحياناً- بين بعض الرهبان وعلماء الأمة حول العقائد النصرانية والإسلامية فقد كان في نطاق محدود، وبالحجة البينة والدليل المقنع ينتصر علماء الأمة على هؤلاء ويفسدوا ما تذرَّع به أولئك من حجج واهية.[4]

أما المرحلة الثانية: (ويمكن أن تسمى المرحلة السياسية)

وهي المرحلة الجديدة، وقد وجدت مع وجود الغزو الأوربي للعالم الإسلامي مصطحباً معه الفكر الاستشراقي، ولم يعد هذا الفكر مقتصراً على الأوربيين وحدهم وإنما إلى المسلمين، واهتم بعرض أفكاره عليهم اهتماماً كبيراً.

---

(١) انظر: دراسات استشراقية وحضارية، ص١٠١، بحث د/ محمد الدسوقي.

(٢) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ص١٥.

(٣) شبهات التغريب، ص ٩١-٩٣، أنور الجندي.

(٤) انظر: بحث د/محمد الدسوقي، ص١٠١، في كتاب دراسات استشراقية.

وقد سمى البعض هذه المرحلة بالمرحلة السياسية، ومن خلالها راوغ الاستشراق وتحايل لكي يجد له مكاناً وقبولاً بين المسلمين، فتراجع عن أسلوب الهجوم، واستعمل أسلوباً أشد مكراً وأسوأ سبيلاً وهو محاولة الدخول في الموضوعات من باب التقدير والمدح حتى يخدع القارئ ويكسب ثقته ثم لا يلبث بعد ذلك أن يثير شبهات خفية متتالية في إطار هذا التقدير العام الكاذب.[1]

حينئذ نشب الصراع الفكري بين علماء المسلمين وبعض المستشرقين، وشمَّر علماء الإسلام عن سواعدهم وقابلوا افتراءات هؤلاء ببراهين ردت كيد المستشرقين إلى نحورهم، ثم حذر العلماء أبناء الأمة من هذا الخطر الجديد القادم من الغرب النصراني بأسلوبه الخادع الجديد.

وغالباً ما يكون هذا الأسلوب بعد دخول الاستشراق اليهودي إلى ساحة الاستشراق النصراني، ومن هؤلاء المستشرقين اليهود (ردونسون، وجاك بيرك، وجولد تسيهر) وغيرهم.

ومع وجود التحذير من الثقافات والأفكار الاستشراقية إلا أن هذا الفكر قد ترك تلاميذ تأثروا به إلى يوم الناس هذا بين جموع المسلمين، وعملوا على هدم الأمة والتقليل من حضارتها وتراثها.

يقول الأستاذ (الجندي): إن الاستشراق في المجال السياسي عمل على هدم الأمة العربية واللغة العربية والحضارة والتاريخ.[2]

---

(١) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ص١٣، نذير حمدان.

(٢) شبهات التغريب، ص ٩٢-٩٣.

خصائص الفكر الاستشراقي:

هذا ويتميز الفكر الاستشراقي بخصائص جوهرية تعتبر جزءاً لا يتجزأ من مفهوم الاستشراق ومن أهم هذه الخصائص ما يلي: -

١- الارتباط بالاستعمار:

وبخاصة الاستعمار البريطاني والفرنسي منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم بالاستعمار الأمريكي حتى الآن. فمتى توسع الاستعمار توسعت الدراسات الاستشراقية، فالقاعدة التي لا تتخلف هي أن الاستعمار يصحبه دائماً الاستشراق، إذ الارتباط بينهما ارتباط عضوي، وما من دولة استعمارية غربية إلا ولها مؤسسات استشراقية.[١]

٢- الارتباط بالتنصير:

إن تاريخ التنصير مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الاستشراق، وهما لا ينفصلان عن تاريخ الاستعمار السياسي الفكري والأخلاقي... وقد ظهر هذا الارتباط بين الاستشراق والتنصير والاستعمار في كتابات (ريمو ندلول) و(زويمر) أكبر منصر في الشرق و(الكونت فولني) في كتابه (رحلات إلى مصر وسورية) والذي ظهر عام ١٧٨٧م، وقد أظهر هذا الرجل عداءً جارفاً للإسلام.. ومن ثم مهد السبيل لنابليون لاحتلال مصر.[٢]

ولقد تعاون المستشرقون النصارى مع المستشرقين اليهود في دراسات مشتركة حول الكتاب المقدس (أي العهدين الجديد والقديم)، ثم في دراسات حول الإسلام والمسلمين لكي يتعرفوا سوياً على ثغرات يمكن من خلالها بث الفرقة والفتنة بين المسلمين وتشكيكهم في دينهم تمهيداً لردتهم عنه. وبعضهم كان أو ما زال يمارس فعلاً النشاطات الاستشراقية والتنصيرية بصورة مختلفة ودرجات متفاوتة إلى يوم الناس هذا.[٣]

---

(١) راجع رؤية إسلامية للاستشراق، ص١٠، د/أحمد عبد الحميد غراب.

(٢) الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. قاسم السامرائي ص٥٢، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - دار الرفاعة للنشر والطباعة والتوزيع.

(٣) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق، ص١٠.

٣- الارتباط الوثيق بصنع القرار السياسي ضد الإسلام والمسلمين :

إن التخطيط الاستشراقي لتنصير العالم الإسلامي أو تدميره جعل ارتباطاً وثيقاً بين الدراسات الاستشراقية وصنع القرار السياسي تجاه المسلمين ، فكثير من المستشرقين كانوا أو ما زالوا يعملون مستشارين لحكوماتهم في التخطيط لسياستها الاستعمارية والتنصيرية ، فعلى سبيل المثال : -

أ- كان (سنوك هرجر نجى) المستشرق الهولندي يعمل مستشاراً لهولندا في سياستها ضد أندونيسيا المسلمة. الأمر الذي شجع النشاطات التنصيرية وفرض القوانين العلمانية على مواطني هذا البلد المسلم.

ب- وكان (ماكدونالد) المستشرق البريطاني يعمل مستشاراً لحكومته في تخطيط سياستها ضد المسلمين في شبه القارة الهندية.

جـ - أما (جب) كبير مستشرقي بريطانيا فقد كان مخططاً للسياسة البريطانية والأمريكية الموالية لإسرائيل والمعادية للعرب والمسلمين.

د - أما (ماسنيون) فقد كان مستشاراً للحكومة الفرنسية في تخطيط سياستها ضد المسلمين في شمال أفريقيا وخاصة الجزائر... وقد أدت استشاراته إلى استشهاد أكثر من مليون مسلم جزائري ضد فرنسا الصليبية.

هـ - وما زال (برنارد لويس) المستشرق اليهودي يعمل مستشاراً للحكومتين الأمريكية والإسرائيلية في تخطيط سياستها ضد العرب والمسلمين.

هذا بالإضافة إلى أن الصورة العامة التي كونها المستشرقون عن الإسلام والمسلمين ما زال لها أكبر الأثر على صانعي القرارات في الحكومات الغربية.[١]

---

(١) رؤية إسلامية للاستشراق، ص١١، ١٢.

٤- عدم الالتزام بالموضوعية:

وأيضاً من الخصائص التي يتميز بها الفكر الاستشراقي عن أي فكر آخر أنه غير ملتزم بالموضوعية ولا الأمانة العلمية، خاصة إذا ما تعرض للإسلام بوجه خاص. ومهما ادعى المستشرقون الالتزام بالموضوعية فإن واقع دراستهم يكذب هذا الادعاء - كما سنرى فيما بعد إن شاء الله- ، ومن ثم رأيناهم يجنحون دائما إلى الحط من قدر الإسلام وتشويه صورته وإصدار أحكام وتعميمات تحقيريه بهدف تنفير المسلمين وإبعادهم عن الإسلام إلى ثقافة الغرب تحت شعار تطوير الإسلام أو الحداثة أو الحوار بين الحضارات أو التقارب بين الأديان[1]

وتحت ستار هذه الشعارت البراقة ضاعت الأمانة العلمية، وابتعدوا عن الموضوعية، ودسوا سمومهم في كتبهم ونشروها على أبناء المسلمين ليلوثوا عقولهم ويبعدوهم عن حقائق الإسلام، وعليهم شهد شاهد من أهلهم وهو الأب (أنستاسي الكرملي) الذي قال: إن علم الاستشراق عرضة للنقد والتحقيق، ولابد أن ينتقدوا الانتقاد الصحيح ولقد وجدنا هفوات لا تغتفر لهؤلاء المستشرقين في جميع الأمم وفي جميع التصانيف وما نشروه من الكتب.[2]

ولعل الأسباب التي أدت إلى بعدهم عن الموضوعية وعدم الالتزام بالأمانة العلمية تنحصر في النقاط التالية: -

أولاً: رعاية الكنيسة ورجالها من الرهبان والقساوسة للاستشراق منذ نشأته وحتى الآن، وعمل بعضهم في حقل هذا الفكر جعل هؤلاء لا يتخلصون من أفكارهم الموروثة تجاه الإسلام الذي كشف زيف الكنيسة وأبطل عقائدها، وهاجم الرهبانية القائمة وحكم على القائمين عليها بالفسق والفجور؛ قال عز شأنه:

---

(١) المصدر السابق، ص١١.

(٢) مجلة المجتمع العلمي بدمشق، ج٣٦٣/١٤، عام ١٩٣٦م، نقلاً من المصدر السابق ص١٥.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ (١)

لذلك قال بعض الباحثين: إن المستشرقين في كتاباتهم لا يستطيعون أن يتحرروا من أفكارهم السابقة ومشاعرهم الموروثة، كما أن كثيراً منهم استهدف من دراساته الاستشراقية أغراضاً تبشيرية مسمومة. (٢)

ثانياً: مجافات المنهج العلمي بإهمال ملاحظة مبادئه الأولية له؛ وذلك لانطلاق الفكر الاستشراقي من الزعم ببشرية القرآن وعدم صدق محمد ﷺ في نبوته. (٣)

ثالثاً: إهمال المصادر الإسلامية الأصلية والاحتفاء بدراسات غير أصيلة نبه على خطرها علماء الإسلام.

رابعاً: التمويه والتلبيس في البحث بالتظاهر بالموضوعية والاستيعاب ثم دس السم في الدسم وفق أسلوب يوحي بأن الفكر الاستشراقي يتسم بالجدة والدقة والصحة وهو ليس كذلك. (٤)

هذه هي أهم الأسباب التي حالت دون أن يكون الفكر الاستشراقي موضوعياً أو علمياً.

ومع ذلك نقول إحقاقاً للحق: إن هناك بعض المنصفين لم يبعدوا عن الموضوعية في أبحاثهم (وأقول البعض) لأنهم يعدون بمثابة استثناء أو شذوذ عن القاعدة العامة، بل قادت الموضوعية والأمانة العلمية جزءاً منهم لكي يرتمي في أحضان الإسلام وهو يردد بكل يقين لا إله إلا الله محمد رسول الله. وسنقابل هؤلاء أثناء ردودنا على افتراءات الأكثرية المنحرفة من المستشرقين فيما بعد بمشيئة الله.

(١) سورة الحديد من الآية: ٢٧.

(٢) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ص١٦ - نذير حمدان.

(٣) سنناقش هذه المزاعم في موضعها إن شاء الله.

(٤) انظر دراسات استشراقية - بحث الفكر الاستشراقي في ميزان النقد العلمي د/أحمد الدسوقي ص١٢٦، ١٢٧

إذا كانت هذه هي تلك الخصائص والسمات التي يتسم بها الفكر الاستشراقي فما الأسباب التي أدت إلى نشأته وإعلان افتراءاته على الإسلام وأصوله؟

والجواب في السطور التالية.

المبحث الثاني

أسباب الاستشراق ودوافعه

هناك جملة من الأسباب دفعت المستشرقين إلى إطلاق افتراءاتهم على هذا الدين القويم ومن أهمها مايلي : -

أولاً : السبب الديني الكنسي :

وهذا السبب يحتل المرتبة الأولى من بين الأسباب الأخرى والتي سنذكر طرفاً منها.

فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوربيين ما تركت من آثار عميقة ، إذ رأوا تفوقاً عسكرياً وحضارياً للمسلمين بالإضافة إلى السرعة المذهلة التي انتشر بها هذا الدين القويم بين أعداد كبيرة من المسيحيين ، فتحولوا إليه باقتناع ، كما أن كثيراً من المسيحيين ممن بقوا على نصرانيتهم أعجبوا في قرارة أنفسهم بالإسلام والمسلمين.

مما حمل الرهبان على قيادة حركة لدراسة اللغة العربية وترجمة التراث الإسلامي بقصد تشويهه وحجب محاسنه عن الجماهير المسيحية الخاضعة لنفوذهم.. ثم تطور هذا السبب فيما بعد إلى محاولة تشكيك المسلمين في المثل العليا للإسلام ، والرغبة في التبشير بدينهم بين المسلمين ومحاولة تنصيرهم. [1]

(١) راجع أضواء على الاستشراق ، ص٤٣ ، د/محمد عبد الفتاح عليان.

ومن ثم تعالت الصيحات في أوربا من المفكرين والرهبان تدعو إلى نقل المعركة من ساحة الحرب إلى ساحة الفكر والمعرفة، فصرخ القديس (بطرس) يقول: «إن القرآن منبع الزندقات وسبب الحركات الهدامة التي تهدد كيان المسيحية، فإذا أريد القضاء عليه فلابد من دراسته والدعوة إلى أنه كتاب تعارض وتناقض، وأن فيه ما يرفضه العقل».

ثم أعاد البابا (أينوسنت الثالث) نفس الهوس إلى أن دخلت في مناهج الدراسات الجامعية دراسة اللغة العربية لكونها وسيلة للتنصير، وكان ذلك ما نفذه مجمع فيينا المنعقد سنة ١٣١٢ رسمياً وألزم به جميع جامعات أوربا.[١]

التحالف اليهودي:

ومعلوم أن اليهود دائماً وأبداً يحاولون الصيد في الماء العكر، وقد وجدوا أنفسهم أمام قوم في حاجة إلى معرفة اللغة العربية، وكان ذلك سهلاً عليهم؛ لأنهم في الأصل شرقيون ويسكنون في الغرب، فجمعوا بين الذهن الشرقي والمسكن الغربي فتحالفوا مع النصارى في الدخول إلى ساحة الاستشراق، .وقد كان السبب الديني من الأسباب الأولى التي دفعتهم إلى ذلك وإن كانوا لا يقصدون تنصيراً وإنما يحاولون إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه بإثبات أفضلية اليهودية على الإسلام على حد تعبير الدكتور (البهي)[٢]

وقد استطاع اليهود أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصراً أساسياً في إطار الحركة الاستشراقية الأوربية النصرانية، ولم يرد اليهود أن يعملوا داخل هذه الحركة بوصفهم مستشرقين يهود حتى لا يعزلوا أنفسهم وبالتالي يقل تأثيرهم؛ ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوربيين وبذلك كسبوا مرتين.

---

(١) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص١٧٨، ١٧٩، د/ناصر الغفاري و ناصر العقل.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٤٣١، د/ محمد البهي.

الأولى: بفرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها.

والثانية: تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهذا ما يبتغيه غالبية المستشرقين النصارى.

ومن هنا نفثوا عن سمومهم ضد الإسلام ودخلوا هذا المجال مستخفين تحت رداء العلم.[1]

ولا ننسى أيضاً انضمام بقية الملحدين إليهم من مفكري الغرب والشرق في وقتنا الحاضر لنفس الهدف، وهو إبعاد المسلمين عن دينهم وإطلاق افتراءات عليه من كل مكان، والكفر كله ملة واحدة.

ثانياً: سبب استعماري:

وإذا كان السبب الرئيس في ظهور الاستشراق دينياً كما رأينا فإن ذلك كان فيما بعد تمهيداً لاستعمار البلاد الإسلامية، وقد أشرنا من قبل إلى مدى ارتباط الاستشراق بالاستعمار. فقد وظف الأول نفسه في خدمة الثاني على اعتبار أن الثاني سيساعده في تحقيق ما يريد من تبشير وتنصير بين المسلمين.

لذلك جاء في المذكرة التي رفعها جمع من الأحبار سنة١٦٢٩ إلى المسؤولين في جامعة (كمبردج) والتي طلبوا فيها إنشاء كرسي للدراسات الإسلامية والعربية ما يلي:

يضع المركز نصب عينية خدمة مصالح الملك والدولة وذلك بالعمل من أجل ازدهار تجارتنا مع الأقطار الشرقية وتوسيع حدود الكنيسة في الوقت المناسب، ونشر هدى الدين المسيحي بين أولئك الذين يتخبطون في ظلمات الجهالة[2] (يقصد المسلمين) سبحان الله!

---

(١) راجع الاستشراق والخلفية الفكرية، ص٦٠، ٦١، د/حمدي زقزوق - والاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ص٢٦، ٢٧، د/ أحمد عبد الرحيم السايح.

(٢) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص١٧٩.

وبالفعل اعتمدت الحكومات الاستعمارية على المبشرين والمستشرقين، واتبعت توجيهاتهم، كما سهلت لهم مهمتهم وزودتهم بالمال والسلطان، لأن الأهداف الاستعمارية التقت مع مصالح المبشرين المستشرقين في نطاق حركة الاستشراق، وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار.[1]

ثالثاً: سبب علمي:

وهناك نفر ليس بالكثير أقبلوا على الاستشراق بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم وثقافاتها وعقائدها، فاستهواهم الاطلاع على كتب المسلمين لما رأوه من تقدم علمي لهم في بلاد الأندلس، وفي المقابل تأخر ظاهر في بلاد أوربا حيث كانت تعيش فترة من تاريخها يسمونها العصور الوسطى أو المظلمة، فأرد هؤلاء أن يقفوا على سر هذا التقدم من باب الهواية وحب الاطلاع لا غير.

لذلك كان هؤلاء أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه؛ لأنهم لم يتعمدوا الدس والتحريف والتزموا بالموضوعية أكثر من غيرهم من جمهرة المستشرقين، بل منهم من كان متشككاً قبل البحث في عقيدته فتأكد بعد البحث من صدق تشككه، وتبين له حقيقة الإسلام فآمن بصدق ويقين.

على أن هذا الصنف من المستشرقين لا يوجد إلا حين يكون له من الموارد المالية الخاصة ما يمكنه من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص؛ لأن أبحاثه لا تلقى رواجاً لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة ولا عند الكثرة المتعصبة من القُراء المسيحيين، ومن ثم فهي لا تدر ربحاً ولا مالاً؛ ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين.[2]

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص٤٣٠.

(٢) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٩٧، عمر عودة الخطيب، والموجز في الأديان والمذاهب، ص١٨٠ ناصر الغفاري وناصر العقل.

رابعاً : سبب اقتصادي وتجاري

وبجوار الأسباب السابقة يوجد أيضاً سبب فرعي تمثل في الجانب الاقتصادي والتجاري ، حيث دخل بعض الغربيين ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية.[١]

فلجأ هؤلاء إلى الشرق الغني بموارده الاقتصادية للحصول على المواد الخام وتصنيفها ثم تصديرها إليه مرة أخرى ، وفي سبيل ذلك لابد من استكشاف البيئات الشرقية وإقامة الدراسات حولها ، فكان لهذه الدراسات يد في خدمة الاقتصاد الأوربي ونهضته الصناعية التي عاشتها أوربا فيما بعد عصر النهضة.[٢]

وذهب بعض الباحثين إلى القول : بأن من الدوافع الاقتصادية التجارية للاستشراق انشغال بعض المستشرقين بإبراز الجوانب الخرافية المنسوبة إلى الشرق في القصص والروايات المختلفة ، فلجأ إلى الاتجار بهذه الجوانب والاسترزاق من ورائها فترجموا قصص مثل : (ألف ليلة وليلة) و(رباعيات الخيام) و (رسائل إخوان الصفا) وكتاب (كليلة ودمنة) وحللوا هذه الروايات والكتب وزادوا في السرد العجيب وإبراز المناظر السحرية والأسطورية التي رأوها عندما ارتادوا الشرق[٣] ومن بين هذا الصنف أيضاً أناس لجؤوا إلى الاستشراق عندما قعدت بهم إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء في العلوم الأخرى ، فدخلوه تغطية لعجزهم الفكري وطرق أبواب الرزق عن طريق الاستشراق.[٤]

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث ، ص٤٣٠

(٢) راجع بحث د/ علي النملة في كتاب دراسات استشراقية ، ص٤٣.

(٣) انظر الغزو الفكري المفهوم. والوسائل. المحاولات ، ص١٩٦ ، نذير حمدان - وأضواء على الاستشراق ، ص٤٦ ، د/ محمد عليان.

(٤) راجع الفكر الإسلامي الحديث ، ص٤٣١ ، د/محمد البهي.

المبحث الثالث

أهداف الاستشراق

ومن خلال ما ذكرنا من دوافع وأسباب أدت إلى قيام حركة الدراسات الاستشراقية تجاه الشرق عامة والإسلامي خاصة يمكننا أن نذكر أهداف هذه الدراسات في النقاط التالية: -

أولاً: كان الاستشراق يهدف منذ البداية إلى الحيلولة بين الشعوب النصرانية والدخول في الإسلام مركزاً على تشويه محاسنه لإقناع النصارى بعدم صلاحيته لهم.[1]

ثانياً: ثم اتجهت الدراسات الاستشراقية بعد ذلك إلى الأمة الإسلامية فأخذت في خلق الافتراءات على العقيدة والشريعة والمصدر لكي تضعف الروح الإسلامية عند المسلمين، وتبث الفرقة بينهم وتسعى بكل قوة إلى تنصيرهم.

ثالثاً: ثم ارتبطت بعد ذلك بالاستعمار في البلاد الإسلامية بهدف تمكينه لكي يخضع هذه البلاد لقبول أفكارهم وتمجيد القيم الغربية المادية الرأسمالية النصرانية وفي المقابل الحط من قدر الإسلام ومن يتمسك به.

وعن ذلك يقول الدكتور(البهي): لقد تركزت أهداف الدراسات الاستشراقية - مع تنوعها- في خلق التخاذل الروحي وإيجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية.[2]

فأخذوا في إثبات تفوق المثل الغربية من جانب ثم إظهار أي دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر.[3]

---

(١) الموجز في الأديان والمذاهب، ص١٨١.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث، ص٤٣١، د/محمد البهي.

(٣) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٩٨، د/ عمر عودة الخطيب.

وغني عن القول أن هذه الأهداف التي حملها المبشرون والمستشرقون ما زال يتمسك بها تلاميذ المستشرقين في بلادنا إلى يوم الناس هذا، ظانين أنه لا تقدم ولا مدنية إلا باتباع المثل الغربية والبعد عن الإسلام المتمثل من وجهة نظرهم في الدروشة والمسبحة.

ونذكر هؤلاء بما قاله المستشرق الفرنسي (ماسينون) في محاولة مسخ شخصية هؤلاء التلاميذ: «إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يلونوا بالمدنية المسيحية»[1]

ثم يكشف للجميع عن هدفه قائلاً: «لم نبحث في الشرق إلا عن منفعتنا، لقد دمرنا كل ما هو خاص بهم ولا رغبة لنا إلا أن نبعثهم ضعفاء».[2]

وبالفعل اتخذ هؤلاء منهجاً في التشكيك والمغالطة وتشويه الحقائق والافتراء والتزوير، وهو منهج لم يسلم منه أو من بعضه إلا عدد يسير منهم. كل ذلك لكي يضعفوا المسلمين ويجعلونهم آلة طيعة في أيديهم لقبول التبشير والتحول إلى التنصير، وسنناقش طرفاً من افتراءاتهم على الإسلام فيما بعد إن شاء الله.

وسائل المستشرقين:

وقد علم المستشرقون أن المسلم لا يضعف ولا يخذل إلا إذا بعد عن عقيدته وكتاب ربه وسنة نبيه ﷺ فاتخذوا في سبيل تحقيق ذلك كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ومن أهمها مايلي: -

أولاً: في مجال التأليف:

أ: قاموا بتأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه، وفي أكثرها كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو إبتارها وفي فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها.[3]

---

(١) الغزو الفكري أبعاده ومواجهته، ص ٤٧، د/ عبد العزيز تمام.

(٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب، ص١٨٢.

(٣) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص٢٠٦.

ب: كما قاموا بالتكاتف والتعاون في انتشار الموسوعة المعروفة (بدائرة المعارف الإسلامية) وأصدروها بعدة لغات، وكذلك أصدروا موجزاً لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة، والآن تصدر في أجزاء، وقد وصف الباحثون هذه الموسوعة بأنها أخطر عمل يقوم به المستشرقون للوصول إلى تحقيق أهدافهم تجاه الإسلام، ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين عبؤوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة، كما أنها -للأسف- أصبحت اليوم مرجعاً لكثير من الباحثين المسلمين في دراستهم على ما فيها من خلط وتخريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين.[1]

ثانياً: في الأوساط التعليمية والتربوية:

اتجه المستشرقون إلى الأوساط التعليمية والتربوية واستغلوها في تحقيق أهدافهم استغلالاً كاملاً محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس البراعم الصغيرة من أبناء المسلمين حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم وحتى تخف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية.[2]

كما قاموا بإلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية الإسلامية، ومن المؤسف أن أشد هؤلاء خطراً كان يستدعى ويستضاف على نفقة هذه الجامعات في القاهرة ودمشق وبغداد وكراتشي ولاهور وغيرها من البلاد الإسلامية لكي يحاضر لأبناء المسلمين عن الإسلام[3]، وتلك من تقلبات الدهر حيث نأخذ ديننا من أفواه أعدائنا، وأعداؤنا لا يمكن أن يتقبلوا مجرد مقال أو بحث تتحدث فيه عن دينهم!

---

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٠٦.

(٢) مجلة الإسلام الصادرة في ١٩٥٨/٣/١٦م نقلاً عن الفكر الإسلامي الحديث، ص ٤٣٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٣٣، ولمحات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

هذا ولم يكتف المستشرقون باستغلال الجامعات الإسلامية، بل أرادوا وسيلة أسرع من ذلك لتحقيق ما يبغون وتكون جارية بأعينهم ومرسومة بأيديهم، فتحالفوا مع المبشرين وبإشراف إخوانهم المستعمرين وأنشؤوا جامعات نصرانية جسماً وروحاً على أرض أهل الإسلام منها على سبيل المثال :-

١- **الجامعة الأمريكية بالقاهرة** لتكون قريبة من الأزهر قلعة المسلمين في مصر ومنافسة له، وكل عام تخرج المدرسين المبشرين للمدارس الأمريكية المنشورة في الشرق الأدنى كله.

٢- كما أنشئت أيضاً **الجامعة الأمريكية في بيروت** وكانت تسمى بالكلية السورية الإنجلية، ثم كلية بيروت، وقد تم إنشاؤها عام ١٨٦٥م وهي جامعة بروتستانتية.

ومعلوم أن هذه الجامعة وشقيقتها في القاهرة تجبران أبناء المسلمين الذين يلتحقون بهما على دخول الكنيسة، وإذا احتج أحد يلزمه المسؤولون باللائحة التي تقول: «لابد من عرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ، وأن الإنجيل من المواد الأساسية، وعلى كل طالب يلتحق بمؤسستنا أن يعلم مسبقاً ماذا يطلب منه»[(١)]!

ومع ذلك فالتنافس على هاتين الجامعتين من أبناء أمة محمد ﷺ ما زال مستمراً ليتخرج الطالب في النهاية بشهادة مكتوب عليها (باسم الآب والابن والروح القدس إلهاً واحداً)!

-لا إله إلا الله- الواحد الأحد الذي يقول في كتابه﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[(٢)]
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[(٣)]

٣- **الجامعة الأمريكية باستنبول**... وقد أنشأها مبشر ولا زالت رئاستها تؤول إلى المبشرين.

---

(١) انظر المصدر السابق ص١٠٥

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٩.

(٣) سورة آل عمران الآية: ٨٥.

٤- **الكلية الفرنسية في لاهور** بإعتبار أن هذا البلد يكاد يكون مثالاً للبلد الإسلامي في شبه القارة الهندية.

٥- **كلية غوردون في الخرطوم** أسسها الإنجليز سنة ١٩٠٣م وسموها على اسم ضابط إنجليزي هو (تشارلس غوردون) الذي قتلته الثورة المهدية السودانية سنة ١٨٨٥م.

٦- **جامعة القديس بولس في لبنان** وهي جامعة بابوية كاثولوكية تعرف الآن بالجامعة اليسوعية.[١]

كل هذه الجامعات وغيرها من المؤسسات التربوية كمدارس اللغات النصرانية تساعد على نشر أهداف الاستشراق، وتجاهد صباح مساء في محاولات يائسة لهدم النشأ الإسلامي والقيم العليا لهذا الدين القويم.

ثالثاً: في المجال الاجتماعي والخدمات الإنسانية:

حيث قام المبشرون بإرساليات لتزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات وإنشاء المدارس والملاجئ والمياتم ودور الضيافة كجمعيات الشبان المسيحية وأشباهها.[٢]

رابعاً: المؤتمرات والمجتمعات

شهد القرن التاسع عشر بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين، وقد أتاحت هذه المؤتمرات للمستشرقين في كل مكان الفرصة لزيادة التنسيق وتوثيق أواصر التعاون وتجنب العمل المزدوج حرصاً على تجميع الجهود وعدم تبديدها في أعمال مكررة. وقد تم عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م.

---

(١) راجع المصدر السابق، ص٩٤، ٩٩، وأضواء على الاستشراق، ص٣٨، د/محمد عليان.

(٢) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص٢٠٦.

ثم تتابعت المؤتمرات بعد ذلك بصورة منتظمة حتى بلغت أكثر من ثلاثين مؤتمراً دولياً فضلاً عن الندوات واللقاءات الإقليمية الكثيرة والخاصة بكل دولة، والذي يرجع بعضها إلى تاريخ أقدم من تاريخ المؤتمرات الدولية.

فمثلاً عقد أول مؤتمر إقليمي للمستشرقين الألمان في مدينة درسدن بألمانيا عام ١٨٤٩م، وحتى الآن ما زالت هذه المؤتمرات مستمرة.

أما عن مدى الاستجابة لحضور هذه المؤتمرات فقد كانت سريعة ومجابة من المئات من علماء الاستشراق، فمثلاً مؤتمر أكسفورد استجاب لحضوره تسعمئة عالم من خمس وعشرين دولة وثمانين جامعة وتسع وستين جمعية علمية.[1]

وبجوار ذلك كان هناك العديد من الجمعيات الاستشراقية كالجمعية الآسيوية في باريس والتي تأسست عام ١٨٢٢م، والجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا، وإيرلندا عام ١٨٢٣م، والجمعية الشرقية الأمريكية عام ١٩٤٢م، والجمعية الشرقية الألمانية ١٨٤٥م.

خامساً: المجلات الاستشراقية:

ولقد نشطت هذه الجمعيات وغيرها في إصدار المجلات والدوريات بأعداد هائلة ومتنوعة، بلغت ما يزيد على ثلاثمئة مجلة بمختلف اللغات، نذكر منها على سبيل المثال:

١- مجلة (ينابيع الشرق). وهي أول مجلة استشراقية متخصصة أصدرها (هامر برجشتال) في (فينا) من عام ١٨٠٩م إلى ١٨١٨م.

٢- مجلة (الإسلام) عام ١٨٩٥م ثم خلفتها مجلة (العالم الإسلامي) ١٩٠٦م، وقد صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب، بعد ذلك تحولت إلى مجلة (الدراسات الإسلامية).

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٥٣، ٥٤، د/ حمدي زقزوق.

٣- وفي عام ١٩١٠م ظهرت مجلة (الإسلام) الألمانية DERLSLAM.

٤- وفي بطرسبرج بروسيا ظهرت مجلة (عالم الإسلام) MIRLSLAMA عام ١٩١٢م لكنها لم تعمر طويلاً.

٥- وفي بريطانيا سنة ١٩١١م صدرت أخطر مجلة استشراقية تسمى أيضاً (العالم الإسلامي) THE MUSLIM WORLD أنشأها «صمويل زويمر» ت ١٩٥٢م، وقد كان «زويمر» هذا أكبر مبشر في الشرق الأوسط.[١] والآن تصدر عن «هارتفورد» بأمريكا وطابعها تبشيري سافر.[٢]

تلك هي أهم وسائل الفكر الاستشراقي والتي يستخدمها حتى الآن في طمس معالم عقيدتنا الغراء -إن استطاع- ولن يكون له ذلك بإذن الله؛ لأن هذا الدين تحرسه عناية الله ويحفظ بقدرته عز وجل، لأنه الحافظ لمصدره الكتاب العزيز المنزل من قبل أحكم الحاكمين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[٣]

ولكن يحزن المرء ما يراه من هذا الاهتمام الذي لا نظير له تجاه أي دين آخر من قبل دعاة الاستشراق، فالمؤتمرات والجمعيات والمجلات والأموال تتدفق من كل مكان على المستشرقين لكي يحققوا ما يريدون ويصلوا إلى ما يبغون، أما كان أولى بهؤلاء أن يتركونا ودينا، أن يَدَعُونا وكتاب ربنا وسنة نبينا، لماذا يفعلون ذلك كله؟ وماذا فعل الإسلام حتى يحقدوا عليه هذا الحقد الهائل الذي لا نظير له؟؟

إن كل ما فعله الإسلام أنه وضّح حقيقة الأديان السابقة وصحح ما قيل عنها، وأخذ بحاجز البشرية عن عبادة غير الله، وقال قولة الحق في عيسى وأمه عليهما السلام وكشف كذب أقوال اليهود في أنبياء الله المصطفين ليحق الحق ويبطل الباطل،

(١) انظر: الاستشراق، ص ٥١، ٥٢، والموسوعة الميسرة، ج٢، ص ٧٠٣.

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ٤٧١، الشيخ أحمد بشير، والاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، ص ٣٥، د/ السايح.

(٣) سورة الحجر الآية: ٩.

فهل دين يفعل ذلك يحارب بهذه الجيوش الجرارة من الوسائل المختلفة التي يتحرك بها القوم علينا كل مطلع شمس؟!

أما كان يحق لهؤلاء أن يتعقلوا بعقولهم ويشكروا ولا يكفروا؟ والحق أن منهم طائفة كما أشرنا من قبل قليلة فهمت ذلك وحكمت عقولها وآمنت بربها وأنصفت هذا الدين.

لكن الأكثرية الظاهرة على السطح والتي تُمسك بزمام الأمور في مركب الاستشراق وتوجه الاستعمار كيفما تشاء وتصدر المجلات وتعقد المؤتمرات هذه الأكثرية لا تعترف بهؤلاء ولا تقيم لهم وزناً؛ لذلك نرى أن هذه الأكثرية هي الخطر الدائم على ديننا مهما غيروا في أساليبهم ومعاملاتهم.

وبناءً على ذلك نتحدث بإيجاز الآن عن هذين الصنفين: المستشرقين الخطرين ونذكر بعضاً من أسمائهم من باب التحذير منهم، كما نذكر بعضاً من المنصفين من باب الإشادة والعرفان والالتزام بالموضوعية العلمية التي يجب أن يلتزم بها الباحث ليعطي كل ذي حق حقه.

المبحث الرابع:

أصناف المستشرقين

مستشرقون خطرون: أسماؤهم وأهم كتبهم

من أشد هؤلاء خطراً على الإسلام محرري دائرة المعارف ومنهم:

١ - أ. ج. أربري .D.A. Arberry إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين، ومن المؤسف أنه درَّس لكثير من المسلمين الذين تخرجوا في الدراسات الإسلامية واللغوية في إنجلترا. ومن كتبه:

أ- **الإسلام اليوم**، صدر في عام ١٩٤٣م.

ب- **مقدمة لتاريخ التصوف**، صدر في عام ١٩٤٧م.

جـ- **التصوف**، صدر في عام ١٩٥٠م.

د- **ترجمة القرآن**، صدر في عام ١٩٥٠م[١].

٢- د.س مرجليوت. S.D. Margolouth إنجليزي أيضاً متعصب ضد الإسلام. كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي في دمشق. ومن كتبه:

محمد ومطلع الإسلام[٢]

٣- جب H.A Rclbb من أكبر مستشرقي إنجلترا ومن كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية. له كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة. ومن كتبه:

أ- **طريق الإسلام**، ألفه بالاشتراك مع آخرين.

ب- **الاتجاهات الحديثة**، في الإسلام صدر في عام ١٩٤٧م.

جـ- **المذهب المحمدي**، صدر في عام ١٩٤٧م وأعيد طبعه.

د- **الإسلام والمجتمع الغربي**، صدر في أجزاء واشترك معه آخرون.

هـ- **مقالات أخرى متفرقة**[٣].

٤ - أ. ج. فينسنك. A.J VENSINK عدو لدود للإسلام وأهله، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، ثم خرج منه بعد ما كشف أمره تجاه الإسلام. من كتبه:

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث، ص٤٤٧ - د/ البهي.

(٢) الموجز في الأديان والمذاهب، ص١٨٢.

(٣) الفكر الإسلامي الحديث، ص٤٤٨ - د/ البهي.

عقيدة الإسلام ١٩٣٢م، وهو ناشر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في لغته الأولى[١]

٥- ماكدونالد. D.B Mocdonold أمريكي من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة. له كتب من أشهرها:

أ- **تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام** صدر عام ١٩٠٣م.

ب- **الموقف الديني والحياة في الإسلام**، صدر عام ١٩٠٨م، كما يعد من كبار محرري الدائرة

٦- زويمر Zweimer مستشرق مبشر ومؤلف لكتاب (**الإسلام تحد لعقيدة**) صدر عام ١٩٠٨م، وناشر كتب الإسلام ومؤسس مجلة العالم الإسلامي[٢].

٧- ومن المستشرقين اليهود جولد زيهر COLDI Zher وهو مجري يهودي (١٨٥٠- ١٩٢٠). ومن كتبه تاريخ **مذاهب التفسير الإسلامي والعقيدة والشريعة**. وقد أصبح زعيم الإسلاميات في أوربا بلا منازع ومن محرري الدائرة.

٨- غ. فون جرونباوم. C.Von Crunbaum وهو يهودي من أصل ألماني وكان أستاذاً بجامعة شيكاغو ومن ألد أعداء الإسلام. يكتب كتابين:

أ- **إسلام العصور الوسطى.**

ب- **محاولات في شرح الإسلام المعاصر**[٣] ظناً منه أن الإسلام يتعدد ويتطور قاتله الله.

وغير هؤلاء كثير ستقابلنا آرائهم فيما بعد منهم: «هكسلي Huxley» المستشرق الملحد الذي كتب كتاباً ينكر فيه وجود الخالق اسمه «**الإنسان يقوم وحده**».

---

(١) الموسوعة الميسرة، ج٢ ص٧٠٠، والمذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، ص١٣، د/عبد الرحمن عميرة.

(٢) الفكر الإسلامي، ص ٤٤٨- ٤٥١.

(٣) المذاهب المعاصرة، ص١٤ د/عميرة.

وقد رد عليه عالم من ملته اسمه (أكريستي مدريسون) بكتاب اسمه (**الإنسان لا يقوم وحده**) وترجم إلى العربية تحت عنوان (**العلم يدعو إلى الإيمان**).

كما سيقابلنا أيضاً المستشرق (**نيكولسن**) في مفترياته الكثيرة على الإسلام.

وأيضاً (بروكلمان) صاحب كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية و (أرفنج) الأمريكي الأصل وغيرهم كثير[٢] اجتمعوا جميعاً يفترون على الله الكذب وهم يعلمون، فلنحذر ونستيقظ ونفيق فهل نحن فاعلون!؟

ثانياً : مستشرقون منصفون :

وهؤلاء ينقسمون إلى فريقين :

فريق أعلن إسلامه في غير لبس ولا مراء وجابه الرأي العام في بيئته بعقيدته ثم أخذ يدعو إليها مكرساً وقته وجهده لنشرها.

وفريق أحب الإسلام ومدحه ولا ندري ماذا أسر في نفسه. وعن هؤلاء يقول «اللورد هدلي» : إنني أعتقد أن هناك آلافاً من الرجال والنساء أيضاً مسلمون قلباً ولكن خوف الانتقاد والرغبة في الابتعاد عن التعب الناشئ عن التغيير تآمرا على منعهم من إظهار معتقداتهم[٢].

وهو يشير بذلك إلى انتقام فئة المتعصبين ومن ورائهم الكنيسة إذ كانوا لا يراعون إلاً ولا ذمة فيمن اعتنق الإسلام أو رأوا أنه قد مال مجرد ميل إليه.

وسواء اعتنقه هؤلاء أم أحبوه فسنذكر كما أشرت طرفاً من أسماء أعلامهم الذين كانت لهم شهرة عالمية.

---

(١) للمزيد يراجع فصل المبشرون والمستشرقون في كتاب الفكر الإسلامي د/البهي

(٢) أوربا والإسلام، ص٣٨، د/عبد الحليم محمود

آ- فممن مالوا إلى الإسلام ولم يعتنقوه منهم :

١- الكونت هنري دي كاستري :

درس الإسلام دراسة عميقة وله كتاب اسمه الإسلام سوانح وخواطر، وفي هذا الكتاب الطريف تحدث عن كثير من جوانب الإسلام الكثيرة ، كما جند نفسه في الرد على كثير من افتراءات المستشرقين تجاه القرآن الكريم والرسول ﷺ وقد حكى الدكتور (عبد الحليم محمود) في كتابه (أوربا والإسلام) قصة تفكيره في دراسة الإسلام وطرفاً من ردوده على هذه الافتراءات.[١]

٢- يوهان ج - رايسكه (١٧١٦-١٧٧٤م):

وهو مستشرق ألماني جدير بالذكر، اتهم بالزندقة[٢] لموقفه الإيجابي من الإسلام، عاش بائساً ومات مسلولاً، وإليه يرجع الفضل. في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية بألمانيا.[٣]

٣- توماس أرنولد (١٨٦٤-١٩٣٠م):

إنجليزي الأصل له كتاب **الدعوة إلى الإسلام** THE Bre Ching Islam ترجم إلى التركية والأوردية ونقله إلى العربية الأستاذ (حسن إبراهيم حسن) وآخرون.[٤]

وفيه برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين على عكس مخالفيهم معهم، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب فيه من الوثائق ما يدلل على

---

(١) أوربا والإسلام راجع من ص ٣٩-٤٥.

(٢) لفظ أعجمي معرب أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام وعرّب.. ثم أطلق على كل من أسر الكفر وأظهر الإسلام من المنافقين. للمزيد راجع بغية المرتاد (السبعينية) ص٣٣٨ شيخ الإسلام ابن تيمية ومقالات في المذاهب والفرق، ص٢٧ د/عبد العزيز محمد العبد اللطيف والموسوعة الميسرة، ج٢، ص١٠٧٥.

(٣) الموسوعة الميسرة، ج٢، ص٦٩٩.

(٤) انظر: أضواء على الاستشراق هامش ص٤٩ - د/ محمد عليان، والموسوعة الميسرة، ج٢، ص٦٩٩.

صحة كل حادثة، ومصادره في أكثرها لا غبار عليها إلا أن المستشرقين المتعصبين - وبخاصة المبشرين منهم- يزعمون أن مؤلفه كان مندفعاً بعاطفة قوية من الحب نحو المسلمين.[1]

٤- غوستاف لوبون:

مستشرق وفيلسوف مادي لا يؤمن بالأديان مطلقاً، جاءت أبحاثه وكتبه الكثيرة متسمة بإنصاف الحضارة الإسلامية مما دفع الغربيين إلى إهماله وعدم تقديره.

وغير هؤلاء كثير منهم (الكاتب) الأنجليزي (كاريل) وأيضاً (جاك بيرك) و(رينيه جينو) والدكتور (جرينيه وجوته الألماني)[2]

هؤلاء اعتدلوا في أكثر كتاباتهم،[3] والتزموا فيها بالموضوعية فهوجموا وقلّ ميزانهم الأدبي من وجهة نظر المتعصبين من المستشرقين.

ب- الذين أسلموا واعتنقوا الإسلام باقتناع:

فقد رفضوا تماماً من قبل تلك الفئة التي لا تريد أن يرى أحد غيرما ترى أو يحكم بغير ما تحكم مع أنهم دعاة الحرية الفكرية والعقدية في المجتمع المعاصر كما يزعمون وتلاميذهم في بلادنا عنهم يتحدثون. ولا أدري لماذا لم تطبق تلك الدعوة على هؤلاء الذين نقبوا وبحثوا وأعلنوا غير مقهورين صحة دين الإسلام؛ ولذا اعتنقوه بيقين وبرهان أم أن هذه الدعوة لا يجب تطبيقها إلا على بعض من أبناء الأمة الإسلامية الذين اغتروا بفكر هؤلاء وأظهروا تمرداً على هذا الدين، وهم والحمد لله شرذمة

---

(١) لمحات من الثقافة الإسلامية، ص ٢٠٦، عمر عودة الخطيب.

(٢) راجع أوربا والإسلام، ص٤٥، والموسوعة الميسرة، ج٢ ص٦٩٩.

(٣) مع تحفظنا على بعض من آرائهم التي تحتاج تقويماً، فلتكن القراءة لهم مهما كانت كتبهم دائماً أبداً موضع نظر.

قليلون لا يعبأ بهم جمهرة المسلمين، بل سرعان ما يلفظونهم وفي سلة التاريخ يلقونهم.[1]

أقول تعالوا لنتعرف على بعض من الأسماء الذين تركوا الباطل وارتموا في أحضان الحق من المستشرقين ومنهم:

١- اللورد هيدلي. الإنجليزي

حكى عنه الدكتور «عبد الحليم محمود» (رحمه الله) في كتابه أوربا والإسلام قائلاً: كان لإسلام «اللورد هيدلي» ضجة كبيرة في أوربا لمركزه ولما يعلمه فيه عارفوه من نضج في التفكير وتروٍّ في الأمور، وقد تحدث الرجل عن سبب إسلامه قائلاً: عندما كنت أقضي -أنا نفسي- الزمن الطويل من حياتي الأولى في جو المسيحية كنت أشعر دائماً أن الدين الإسلامي به الحسن والسهولة، وأنه خلو من عقائد الرومان والبروتستانت!!

وثبتني في هذا الاعتقاد زيارتي للشرق التي أعقبت ذلك ودراستي للقرآن المجيد.

لعلك تلاحظ معي أن الرجل لما عكف على كتاب الله في الإسلام أيقن أنه دين لا نظير له من الأديان الوثنية أو النصرانية المعاصرة، وهي أديان لا توصل إلى الحق؛ لذلك قال الرجل: فكرت وصليت أربعين سنة كي أصل إلى حل صحيح.. وفي النهاية رأيت أن الدين الإسلامي هو الذي يجمع العالم الإنساني على عبادة الله الواحد الحقيقي.. بطريقة سهلة خالية من الحشو والتلبيك.

ثم يشكر الله على هدايته قائلاً: روح الشكر هي خلاصة الدين الإسلامي، والابتهال أصل في طلب القيادة والإرشاد من الله.. والحق أنني بعدما تحققت من

(١) وآخر هؤلاء نصر أبو زيد - الذي حكم عليه بالردة، والشاهد على أفكاره كتابه نقد الخطاب الديني، وأيضاً مفهوم النص..

سلاسة وضياء وعظمة الإسلام ومجده أصبحت كرجل فر من سرداب مظلم إلى فسيح من الأرض يضيئه شمس النهار... ثم رد الرجل على كثير من افتراءات الآخرين في شجاعة وقوة تحسب له[1] وهو يعلم أن ذلك ستضيق به صدور المخالفين.

٢- الفونس اتيين دينيه :

فرنسي الأصل ولد في باريس ١٨٦١م وتوفي ١٩٢٩م. فنان كبير له كتاب في تفسير السيرة النبوية عبارة عن مجلد كبير وضعه باللغة الفرنسية وزينه بالصور الملونة البديعة المتعددة من ريشته الخاصة يمثل فيها المناظر الإسلامية.

كان يحب العرب حباً كبيراً، لذا ذهب إلى الجزائر وعاش بين أهلها وأسلم باقتناع ويقين، وأعلن ذلك رسمياً بالجامع الجديد بمدينة الجزائر ١٩٢٧م.وطلب أن يدفن في قبره مسلماً حنيفياً[2].

له كتاب **أشعة خاصة بنور الإسلام.**

من خلاله عرفه القارئ العربي ومن خلاله أيضاً أضاء الطريق لكثير من المستشرقين لكي يسيروا سيره ويعتقدوا معتقده ومن أقواله :

«إن العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير، فقد يكون المرء صحيح الإسلام وفي الوقت نفسه حر التفكير»[3] -وطبعاً هذا غير موجود في المسيحية التي كان يعتنقها من قبل فهناك إيمان بلا نقاش ولا تعقل-

---

(١) راجع أوروبا والإسلام، ص ٥٠ - ٥٣.

(٢) انظر مقال الأديب راشد رستم - جريدة الأهرام في ١٩/١٢/١٩٢٩م نقلاً عن المصدر السابق هامش ٤٣-٥٧.

(٣) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٣٨ ترجمة الأستاذ/ راشد رستم (ومعلوم أن حرية الفكر لا تقتضي أن يكون المرء منكراً لوجود الخالق).

ثم يقول: «وكما أن الإسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس - يقصد الإشارة إلى عالمية الإسلام- فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع المدنيات».

لذلك رأينا الذين يعتنقون الإسلام في وقتنا هذا من المسيحيين وغيرهم فإنما هم من الخاصة.. وإخلاصهم في ذلك لا شك فيه، فهم أبعد ما يكونون عن الأغراض المادية.[1]

وسنرى للرجل بعد ذلك آراء سنصطحبها في الرد على المفترين من المستشرقين أحياناً.

٣- الكاتبة الأمريكية مريم جميلة.

هي من أصل يهودي، بحثت عن العقيدة الصحيحة في اليهودية والنصرانية فلم تقف عليها، وأخيراً اتجهت إلى الإسلام فرأت عقيدته صافية نقية فاتخذته ديناً خالصاً وأسلمت وجهها لله رب العلمين، ثم كتبت كتاباً بعنوان «**الإسلام في مواجهة أهل الكتاب**».

بينت فيه مدى الانحراف والضلال في الأديان الأخرى ثم جعلت كثيراً من الشباب المسيحي الضائع يعلن عقيدة التوحيد بكل اقتناع ورضا.[2]

وغير هؤلاء كثير يحتضنهم الإسلام كل صباح.[3]

وهكذا أراد هؤلاء غزو الإسلام وتحطيم حقائقه فغزاهم الإسلام في قلوبهم وحطم الأباطيل الموروثة لديهم، وسيبقى الإسلام دين الله هو الدين الساطع في دنيا

---

(١) المصدر السابق، ص٣٨، ٣٩.

(٢) للمزيد راجع المسيحية بين التوحيد والتثليث، وموقف الإسلام منها للمؤلف، ص٢٤٢، ٢٤٣.

(٣) لمعرفة المزيد راجع أوربا والإسلام والمصدر السابق.

الناس يضيء لهم الطريق ويهديهم إلى صراط الله العزيز الحكيم:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1]

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2]

وبعد

فدفاعاً عن هذا الدين وجهاداً مع المجاهدين الذين هداهم الله سبله -عسى أن نكون معهم فهو على كل شيء قدير- سنقف الآن عند آراء المفترين من المستشرقين المارقين التي أطلقوها على هذا الدين بكل عقائده النيرة. مفندين لها منبهين عليها محذرين منها عسى أن يعلم أولئك أن أبناء الأمة لم يعدوا في سبات كما يرجون.

وأن الأجيال القادمة بإذن أحكم الحاكمين قادرة من غير شك على حماية دينها والدفاع عن كتاب ربها وإقامة البراهين على صدق نبيها ﷺ.

وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حين قال: «**من لم يجادل أهل الباطل ليقمع باطلهم لم يكن أوفى الإسلام حقه فيقمع باطلهم بالعقل ويبين صحة مذهبه بالعقل والنقل**» فهل ينتبه شبابنا رعاهم الله إلى ذلك؟. إنا لآملون.

❁ ❁ ❁

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٨٥.